عمارة معبد شمش في سبار في العصر البابلي الحديث

د. محمد طه الأعظمي

كلية الآداب – جامعة بغداد

يعرف معبد شمش في سبار باسم E.Babbar بمعنى البيت أو المعبد الأبيض أو المضئ ، المشع . والمعبد هذا واحد من أشهر المعابد العراقية القديمة، كُرس لعبادة الإله شمش آله الشمس وراعي الحق والعدالة . وكما ورد في النصوص المسمارية فإن المعبد لم يكن مجرد مبنى دينياً فحسب بل كان من المراكز الاقتصادية المهمة في مدينة سبار ، حيث كان كهنَتُه والقائمين عليه يزاولون الأعمال التجارية شتى من بيعٍ وشراءٍ وتأجير وقروض وتجهيز القوافل التجارية فضلاً عن تصريف شؤون المتاجر والمشاغل الحرفية وإدارة شؤون الأراضي الزراعية الواسعة التي كان يمتلكها المعبد[١] .

وبسبب ما كان يتمتع به معبد شمش من أهمية دينية ودنيوية ، فقد كان لابد من أن تخضع إدارته إلى سلطة الدولة المركزية ولو بشكل غير مباشر، من خلال تكريس سيدة في العائلة المالكة بمنصب الكاهنة العليا فيه ، ونعرف مثلاً أن التاني Iltani ، أبنة الملك سني موبلط وأخت الملك حمورابي شغلت هذا المصنب مدة طويلة من الزمن[٢] . وطبقاً لما ورد في النصوص المسمارية المكتشفة في سبار فإن العصر البابلي القديم (٢٠٠٢-١٥٩٥ق.م) يُعد من العصور الذهبية التي أزدهر فيها هذا المعبد وتوسع نفوذه دينياً ودنيوياً حتى أصبح اسم الإله شمش في مركز مساوٍ أو أحياناً أرفع ممن مقام الإله مردوخ إله بابل الرئيسي.

بقي هذا المعبد يتبوأ مكاناً سامياً بين معابد العراق القديم حيث أظهرت أعمال الحفر والتنقيبات وما أكتشف من لقى أثرية ونصوص مسمارية ، أن كثيراً من ملوك بلاد وادي الرافدين قد ساهموا بتجديد وتوسيع وصيانة مرافقة المختلفة منذ العصر البابلي القديم والعصر الكشي ثم في عصر سلالة بابل الرابعة (آيسن

الثانية) ومنهم أدد ابلا أدينا ١٠٦٧-١٠٤٦ق.م ، ونابوا بلا أدينا وصولاً إلى العصر البابلي الحديث ابتداءً من زمن حكم نبوبلاصر ٦٢٥-٦٠٥ ق.م ثم نبوخذنصر (٦٠٤-٥٦٢ ق.م) وإلى زمن حكم الملك نبونائيد ٥٥٥-٥٣٩ ق.م آخر ملوك السلالة[٣] . وأستناداً لما استظهرته أعمال التنقيبات التي أجريت في المعبد في السنوات الأخيرة فإن معبد شمش قد ظل على مكانته السامية تلك حتى بعد سقوط سلالة بابل الأخيرة وصولاً إلى العصر الفرثي حين ذلك أهمل وبدأ الخرابُ يدبُ فيه وأخذ المستوطنون - ربما بسبب مكانته الدينية السابقة أو لأسباب أخرى أخذوا يدفنون موتاهم بين أرجائه وفوق أنقاضه وبقيت عادة دفن الموتى في تلك المنطقة إلى فترة متأخرة من عصرنا هذا[٤] . (حول انتشار القبور في منطقة المعبد انظر لوح ٢ و ٣) .

الموقع :

تقع المنطقة الدينية التي تضمُ معبد شمش والزقورة وبعض المرافق الدينية الأخرى غربي مدينة سبار (أبو حبة) يحيط بها من جميع جهاتها سور (المعروف باسم سور التمنوس) مما جعلها بمعزل عن باقي أقسام المدينة الدنيوية . وقد أصبحت المنطقة الدينية هذه مع سورها ذات شكل أقرب ما يكون إلى مستطيل يمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي بأبعاد تقرب من ٢٢٠ × ٢٩٠م علماً أن أمتداد المنطقة الدينية هذه موازٍ تقريباً لأمتداد سور المدينة الخارجي بأبعاده التي تقرب من ١٢٠٠ × ٨٠٠م[٥] .

الوصف العام للمعبد :

بُني المعبد من اللبن الكبير الحجم من قياس ٣٢-٣٤ × ٣٢-٣٤ × ١٢سم ومونة من الطين بسمك ٢-٣سم بين ساف وآخر وقد رصفت باريات من القصب بين كل ٧-٦ صفوف من اللبن. تتجه زوايا مثل بقية المعابد العراقية القديمة نحو الجهات الأربعة . يزين الواجهة الخارجية لجدار المعبد حلية عمارية قواميا طلعات ودخلات كبيرة ضحلة (٣,١٠م × ٣,٤٠م × ٣٤سم) يتخلل كُل واحدةٍ منها

دخلتين صغيرتين مزدوجتين بطول ٥٠سم وعمق ٣٢-٣٤سم ، بلغ سمك الجدار الخارجي ٢,٨٥م للأدوار القديمة و ٣,٢٠م للدور الأخير . يحيط به ويلاصقه جدار آخر يعرف باسم جدار الكيسو مشيد من الآجر ٣٣-٣٤ × ٣٤ × ٧-٧,٥سم ومونة من القار بسمك ١٧٥سم تزينه طلعات ودخلات مشابهة لحلية جدار اللبن . (أنظر صورة رقم ١)

وكان قسم كبير من آجره مختوم بطمغة الملك نبوخذنصر وقد وضع الوجه الذي يحمل الطمغة إلى الأسفل والوجه الآخر الخالي من الكتابة وضع إلى الأعلى. ويتميز المعبد بضخامته وسمك جدرانه التي تراوحت بين ٢,٨٠م، ٣,٥٠م وبسعة مداخله التي بلغت قرابة ١,٥٠م - ١,٩٠م ، أما أعلى مستوى لبقايا جدرانه فكان يتراوح بين ٤٤,٤٥م - ٤٥,٠ م فوق سطح البحر ، أما أبعاده فقد استظهر من ضلعه الجنوبي الغربي قرابة ٥٥م وبلغ طول ما استظهر من ضلعه الشمالي الشرقي في الدور قبل الأخير أي قبل تجديده وتوسيعه قرابة ٤٠م. أما طول الضلع الشمالي الغربي قبل توسيعه فكان بحدود ٦٩,٣٠م. أما بعد توسيعه فإن ما أستظهر منه بلغ طوله بحدود ٩٦م. ويتوسط هذا الضلع وعلى بعد ٣٢م تقريباً من الزاوية الغربية للمعبد ، المدخل الوحيد الذي تم الكشف عنه لحد الآن وهو بعرض ٣,٢٠م تقريباً الا أنه يضيق تدريجياً ليصبح عرضه قرابة ١,٩٥م ، يحف به على الجانبين برجان صغيران عبارة عن دخلتين مزدوجتين طليت أوجههما بطلاء أسود اللون . أما جدار الكيسو حوالي المدخل فإنه ينقطع عند الجانبين ويتقدم أمام المدخل بشكل مصطبتين كبيرتين من الآجر مونة من القارتحفان بالمدخل وبجدار اللبن بسمك يقرب من ١م وامتداد يصل إلى ٥,٧٥م تقريبا[٦] ، وهناك دلائل مؤكدة تشير إلى أن جدار الكيسو في بعض المعابد من العصر البابلي الحديث والذي يكون بشكل مصطبتين كبيرتين يحفان بمدخل المعبد كانت تستخدم كقاعدة لوضع تماثيل الهية أو حيوانية ، مثل وضع تمثال من النحاس لحيوان المشخوشو حيوان مردوخ على جانبي معبد ايساكيلا[٧].

المعبد واسع المساحة كثير الغرف والساحات بلغ عدد المستظهر منها قرابة ٤٠ غرفة و ٦ ساحات رئيسية وثانوية كانت جميعها مبلطة بعدة مستويات من التبليط يشير كل واحد منها إلى دور سكني وتجديد وصيانة في مرافقه المختلفة وقد استخدم في آخر تجديد له تبليط من عدة سوف من الآجر (٣٣ × ٣٣ × ٧سم) ومونة من القار ثم سيعت الأرضيات بعد ذلك بالقار بسمك ٢-٤سم تقريباً ثم طليت بطلاء جبسي أبيض اللون . ويعود أغلب الطابوق المستخدم في التبليط إلى الملك نبوخذنصر الثاني بدلالة الطبعات الكتابية الموجودة على أوجهه ومع ذلك فيناك طابوق كبير الحجم (٤٠ × ٤٠ × ٧سم) عليه ختم الملك نبونائيد يشير إلى هذا الملك قام هو الآخر بأعمال صيانة وترميم لمعبد شمش[٨].

ويبدو لنا من نمط توزيع الغرف والساحات (أنظر شكل ١) ومما كان يجري فيه من أعمال دينية ودنيوية - كما ورد ذكرها في المصادر المسمارية- إن المعبد في الأصل كان يتألف من قسمين رئيسين يوصلُ إليهما من خلال المدخل الغربي الذي يُفضي إلى غرفة ٣٥٣ التي فتح فيها مدخلان يؤدي أحدهما إلى ساحة المعبد الرئيسية ٣٥٨ ومنها إلى الأقسام الأكثر قدسية في المعبد ونظراً لأهمية المدخل الموصل إليها فقد أقيمت عليه بابه كبيرة ذات مصراع واحد تفتح باتجاه غرفة المجاز وقد أقيمت الباب على صنارة من الحجر الرملي يعلوها مكعب نحاسي وقاعدة مخروطية نحاسية تدور فوقها قائمة الباب ، والصنارة هذه موضوعة وسط صندوق من الطابوق شيد على يسار المدخل (بالنسبة للشخص الداخل إلى الساحة) (أنظر صورة رقم ٤) ، ويبدو أن باب الساحة كان يغلق لمنع دخول المواطنين إليه مما يضطرهم إلى الأتجاه إلى المدخل الآخر والذهاب إلى القسم الإداري والخدمي من المعبد ولا يفتح الا في أوقات محددة لإقامة الشعائر والطقوس الدينية .

وكما نعتقد فإن القسم الشمالي الشرقي والذي يوصل إليه عبر غرفة المجاز ٣٥٣ كان قد خصص للخدمات الإدارية والاقتصادية وهو يتألف من عدد من

الوحدات العمارية المستقلة بعضها عن بعض ، نذكر من أهمها وحدة المكتبة التي تضم غرفة المكتبة ٣٥٥ والقاعة ٣٥٦ والساحة ٣٦٠ والتي يوصل إليها عبر مدخل واحد فتح في الساحة ٣٥١ . كذلك نشير إلى الغرفة ١٣٢ التي استخدمت على الأغلب لأغراض التطهير أو الأغتسال بدلالة وجود حوض صغير للماء يتوسط الغرفة ويمتد عبر الغرف ١٣٢ و ٣٥٤ و ٣٥٣ ومنها تحت أرضية مدخل المعبد وإلى بئر في الخارج ، ويمكن ملاحظة اتجاه هذا المجرى وإنحداره إلى خارج المعبد من خلال تتبع مناسيب الساف الأسفل من آجرّه حيث بلغ ارتفاعه عند بداية مدخل المعبد ٤١,٨٧ ، بينما كان ارتفاعه في الأقسام الممتدة خارج المعبد بين ٤١,٧٩ إلى ٤١,٥٢ فوق مستوى سطح البحر.

أما القسم الرئيسي للمعبد فيحتل الجزء الجنوبي الغربي منه وقد خصص للتعبد ولأجراء المراسيم والطقوس الدينية وهو مثل سابقه يتألف من عدد من الوحدات العمارية المستقلة بعضها عن بعض من أهمها القسم المخصص لعبادة شمش وإلى الغرب منه يمتد القسم المخصص لعبادة زوجة شمش المعروضة بأسم أيا أوشنيردا . وربما كان هناك مزارٌ ثالث لم يُكشف بعد خُصص للإله بونيني وزير شمش وسائق عربتهَ الحربية كما ورد ذلك في النصوص المسمارية.

وكلا المزارين المكتشفين بمخطط عماري واحد الا أنهما يختلفان في أبعاد مرافقهما . أما الوحدة العمارية الخاصة بعبادة أيا زوجة شمش فتتألف من ساحة وسطية (٣٥٨) مكشوفة واسعة بأبعاد تصل إلى ١٥ × ١٣,٧٠م ، تبليطها بمستوى ٤٣,٠٢ م ، تفضي إلى غرفة المابين anki cella (١٤,٢٠ × ٤م) ومنها إلى الصومعة أو الغرفة المقدسة Cella (١٤,٣٠ × ٥,٥٠م) التي يتوسط جدارها الطويل المقابل للمدخل كوة أو محراب (٤,٤٠م × ١٦سم) طلي باللون الأسود وتقع جميعها على محورٍ مستقيم واحد[٩] . كذلك فإن من مميزات هذه الوحدة العمارية تشابه زينة المدخل الرئيسي للمعبد من الخارج مع زينة مدخل غرفة المابين المطلة على الفناء حيث نجد أن كلا المدخلين يحف بهما دخله كبيرة

مزدوجة . ويعرف هذا النوع من المخططات الدينية باسم (معبد الفناء البابلي) الذي شاع استخدامه منذ العصور السومرية المتأخرة[١٠] . وهذا النمط من المخططات لا يختلف عن مخطط بيت عراقي قديم يحوي على ساحة وسطية مكشوفة تتوزع حولها الغرف والقاعات بأحجام وأمتدادات مختلفة . أما أقدم نماذج هذا النمط من المعابد فنذكر مثلاً معبد أنكي الذي شيده أمارسين (٢٠٤٧-٢٠٣٩ق.م) في أور وهناك معبد شوسين (٢٠٣٨-٢٠٣٠ ق.م) في تل أسمر. وقد تبلورت ميزات وخصائص هذا النمط من المعابد في العصر البابلي القديم في معبدي عشتار كتيتوم في اشجالي ومعبد نيصابا في تل حرمل (من النصف الأول من العصر البابلي القديم) حيث شيدت مرافقه الرئيسية على وفق نمط واحد يتألف من ساحة وسطية مكشوفة تفضي إلى غرفة المابين المستعرضة ومنها إلى الغرفة المقدسة التي يتوسط جدارها الطويل محراب واسع وتقع جميعها على محور مستقيم واحد مع المدخل الرئيسي للمعبد وغرفة المجاز التي تليه .

ويبدو أن هذا النمط من المعابد بقي ملازماً لتخطيط المعابد العراقية ولاسيما تلك التي تقع في ضمن حدود المملكة البابلية ولم يستخدم في المناطق الشمالية التي تقع ضمن نفوذ المملكة الآشورية ؛ الا في موقع واحد وهو معبد مدينة كرانا (تل الرماح) عاصمة الملك الآشوري شمشي أدد الأول (١٨١٤-١٧٨٢ ق.م) وفيها يعتقد الباحثون أن المعبد بناه معماريان بابليان لذلك كانت خطة بنائه وأساليب زخرفته أقرب إلى المعابد البابلية منها إلى الآشورية[١١].

ولدينا مثال آخر على قوائر استخدام مخطط (معبد الفناء البابلي) في عمارة معبد كولا في مدينة آيسن (أيشان بحريات) والذي تعود أقدم أدواره المستظهرة حالياً إلى الملك كوريكا لزو الثاني (١٣٤٥-١٣٢٤ق.م) وجدد في زمن كادشمان اتليل الثاني ثم مليشيخو وأدد أبلا أدينا (١٠٦٧-١٠٤٦ق.م) وأخيراً جدد في عصر نبوخذنصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ ق.م)[١٢] . هذا وقد شاع استخدام هذا النمط في العصر البابلي الحديث . حيث شيدت أغلب المعابد إن لم نقل جميعها على دفن

هذا المخطط ومنها نذكر معبد أي ماخ ومعبد Z ومعبد أي باتوتيلا[١٣] ومعبد عشتار الأكدية[١٤] ومعبد نابوشخاري[١٥] وأخيراً معبد أي زيدا في مدينة بورسبا (برس غرود) . وفي معبد شمش في سبار كما في بقية المعابد الأخرى فقد ألحق بالغرف الرئيسية المخصصة للتعبد مرافق عمارية متعددة تشمل غرف وقاعات وساحات ثانوية بأبعاد وامتدادات مختلفة استخدمت على الأغلب لأجراء بعض المراسيم الدينية أو لحفظ الأدوات والمواد المقدسة ولجلوس الكهنة لأداء الأعمال المناطة بهم . ونشير بشكل خاص إلى مجموعة من الدهاليز أو الغرف الطولية الضيقة التي بنيت خلف الغرف المقدسة (Cella) بموازاة الجدار الخارجي للمعبد ومنها الغرف ٣٧٦ (١١,٦٠ × ١,٢٠م) والغرفة ٣٧٧ (١١,٦٠ × ١,٢٠م) والغرفة ٣٩٠ (٢٢,٣٠ × ١,٤٠م) ، وهناك دلائل تشير إلى وجود دهليز أو غرفة طولية أخرى تمتد بعد الغرفة ٣٩٠ وصولاً إلى الزاوية الشرقية من المعبد[١٦].

وتجدر الإشارة إلى ظاهرة عمارية ملفتة للنظر في تبليط الدهاليز إذ كانت مستويات تباليطها أوطأ من مستوى تبليط الغرف المتصلة بها بما يقرب من ٣٠سم تقريباً فهي بمستوى (٤٢,٧١-٤٢,٧٦ فوق سحاب) أما تبليط الغرفة ٣٧٤ المتصلة مع الدهليز ٣٧٦ فكان بسمتوى (٤٣,٠٥ م فوق سحاب) وقد أمكن تشخيص تبليط للغرفة ٣٧٤ بمستوى مواز للدهليز ٣٧٦ ، ثم جددت الغرفة مرتين أحدهما من صف واحد من الطابوق ومونة من القير ثم سيعت بطبقة من القير وطبقة من الجص أما التبليط الثاني الذي يعملوه فكان من صف واحد أيضاً من الطابوق ومونة من القير ثم سيع بالقير وطلي بالجص ، لذلك فإن الممر الواصل بين الغرفتين ٣٧٤ و ٣٧٦ والممر الواصل بين الغرفتين ٣٧١ و ٣٧٧ كان بشكل منحدر أعلاه عند مستوى تبليط الغرف وينحدر باتجاه الغرف الطولية الضيقة. ويبدو من ذلك أن استخدام الغرف الطولية الضيقة كان قليلاً وأنها لم تكن ذات أهمية كبيرة لذلك بقيت أرضيتها بحالة جيدة ولم تتعرض للتلف نتيجة للاستعمال فلم يستوجب والحالة هذه تجديدها ورفع مستواها.

ومن خلال تتبع هذا العنصر العماري أي الدهاليز أو الغرف الطولية الضيقة مع معابد أخرى تعود لنفس العصر نجد أن هناك ما يماثلها تقريباً مع بعض الاختلافات في الأبعاد والأحجام في معابد شيدت في مدينة بابل مثل معبد أي ماخ المخصص لنن ماخ ومعبد Z ومعبد أي باتوتيلا المخصص لعبادة نينب(١٧).

ومن الجدير بالذكر فأن بناء غرف أو ممرات طولية تحيط بالمبنى الديني أو الدنيوي من جميع أو بعض جهاته ظاهرة عمارية معروفة ترجع بأصولها إلى عصر فجر السلالات ، ومن أمثلة المباني التي أحيطت بممرات أو غرف طولية نذكر مثلاً مبنى القصر المزدوج في كيش حيث أحيط من جهاته الثلاث بممر يلتف بموازاة الجدار الخارجي للمبنى . كذلك مبنى القصر في أريدو من نفس العصر ومن العصر الأكدي نجد مثل تلك الغرفة الطولية وهي تحيط بضلعين من أضلاع حصن نرام سين في تل براك وفي المبنى الجنوبي في أشنونا (تل أسمر) . كذلك نجد مثل هذا الممر الخلفي أو الغرف الطولية الضيقة في مبنى كي باركو (معبد ننكال) للملك بورسين (٢٠٤٦-٢٠٣٨) في مدينة أور من عصر أور الثالثة - ويحيط هذا الممر بثلاثة من أضلاعه ويمتد أيضاً وسط المبنى ويجعل منه قسمين منفصلين شمالي وجنوبي . كذلك نشير إلى الممر الحلقي الذي يحيط بالغرف الأكثر قدسية في معبد أنكي في أور من العصر ذاته. ومن الأمثلة الأخرى على استخدام هذا العنصر العماري ما نجده في مبنى القصر الملكي الذي يعود إلى زمن حكم الملك كوريكانرو الأول عند تل الأبيض في مدينة عكركوف والغرفتان الطوليتان الجانبيتان في معبد أكينا في الوركاء الذي بناه الملك كرنداش في العصر الكشي.

كذلك نجد استخدام مثل تلك الغرف الطولية في مباني تعود إلى العصر الآشوري الحديث ومنها نذكر معبد نابو في مدينة دورشروكين (خرسباد) الذي

شيده سرجون الآشوري (٧٢١-٧٠٥ ق.م) ، وهي مشيدة على وفق غرف طولية صغيرة وكبيرة تحيط بالمعبد من جميع جوانبه .

ويبدو لنا مما استعرضناه من تلك المباني الدينية والدنيوية الرسمية أن بناء هذه الممرات أو الدهاليز والغرف الطولية كان بالدرجة الأساس حول أهم أقسام المبنى أو أكثرها خطورة وقدسية وهي محاولة من المعماريين لفصل الغرف المقدسة في المعبد أو غرف تواجد الملك في القصر عن باقي أقسام المبنى لغرض أمني أو لإخفاء هالة من القدسية والتبجيل على غرف من دون أخرى وهي الغرف التي يتواجد فيها الإله أو الملك بشكل دائمي تقريباً وجعلها بعيدة أو بمعزل عن باقي مرافق المبنى .

ومن العناصر العمارية الأخرى الملفتة للنظر عمل مجموعة من الدكاك بأحجام وأشكال مختلفة بنيت خارج المعبد وبمحاذاة جدار الطابوق (الكيسو) ومتلاصقة معه تقريباً عند الضلعين الشمالي الغربي والجنوبي الغربي. بنيت الأوجه الخارجية للدكاك بالآجر من قياسات وأشكال مختلفة بعضها كان من نوع المستوى المحدب أي أنه استخدم في بنائها أجر نُقض من أماكن مختلفة من المدينة يعود قسم منها إلى أزمان قديمة جداً ، أما باطن الدكاك ، فقد كلئ بكسر من الآجر. واستخدم في بناء بعضها إضافة إلى الآجر أحجار كلسية وصخور رملية بأحجام كبيرة غير مهندمة. (أنظر صورة رقم ٣)

ومما تجدر الإشارة إليه إلى أنه لم يُعثر على دكتين متشابهتين فقد كان لكل واحدة منها حجمها وشكلها الخاص وعلى العموم فأن الدكاك المنتشرة بموازاة الضلع الجنوبي الغربي هي أصغر حجماً من تلك الموجودة بموازاة الضلع الشمالي الغربي. كذلك فإن امتداد الدكاك في هذه الناحية يأخذ شكل وامتداد جدار الكيسو القريب منه فإذا كان في جدار الكيسو مثلاً دخله كبيرة ففي هذه الحالة فإن الدكة ترتد إلى الخلف وتأخذ شكل تلك الدخلة وهي تختلف بذلك عن شكل الدكاك عند

الضلع الجنوبي الغربي حيث تأخذ أوجه الدكاك استقامة واحدة ليس لها دخل بحليه الدخلات والطلعات لجدار الكيسو القريب منها .

ومن العناصر العمارية الأخرى العثور على كوتين كبيرتين فُتحت أحداهما في وسط الضلع الجنوبي الغربي والأخرى قُرب النهاية الشمالية للضلع الشمالي الغربي.

شكل كل كوةٍ منها أشبه ما تكون بمحرابٍ واسع أرضيته مُبلطة بالآجر بعرض ١,٨٠م وبعمق ١,٥٠م داخل جدار اللبن وترتفع بقاياها لأكثر من ١,٥٠م[١٨] (أنظر صورة رقم ٢)

ويبدو أنه من العسير في الوقت الحاضر التفصيل في ذكر أهمية وفوائد تلك الكوات والدكاك لعدم وجود أدلةٍ ماديةٍ أو كتابية توضح ذلك ، إلا أنه من المحتمل أنها قد استُخدمت لوضع تماثيل أو شعارات الهية يتقدم إليها بالهدايا والنذور كل من لا يتمكن من دخول المعبد في عامة الشعب لسبب أو لآخر، أو أن المراسيم الدينية والشعائر الخاصة بعبادة شمش كانت تجري داخل المعبد في أوقات مخصصة من السنة تغلق بعدها الأبواب ويستعاض عن ذلك بإجراء الشعائر الدينية وتقديم القرابين أمام تماثيل الآلهة وشعاراتها في الكوات وعند الدكاك المنتشرة حول المعبد.

أما ما يتعلق بتاريخ بناء هذه الدكاك فقد أمكن رصد في الأقل ثلاثة أدوار بنائية فيبدو لنا أنها قد بُنيت في زمن ليس بأقدم من العصر البابلي الحديث وأستمر استخدامها إلى الدور ما قبل الأخير من أدوار تاريخ المعبد إذ أنه بعد أجراء توسيع وتجديد المعبد في الدور الأخير منه حين ذاك تُرك استخدامها وانتفت الحاجة إليها بدليل قيام معماريو المعبد برفع مستوى الساحات المحيطة به وتسوية الأرض فوق أسطح الدكاك وتبليطها بعد ذلك بسمك سافين من الآجر كما ظهر ذلك واضحاً بشكل خاص قرب الضلع الجنوبي الغربي (تبليط ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧) وقليلاً على جانبي مدخل المعبد.

الألـــوان والزخـــارف :

كما ذكرنا سابقاً فأن معنى اسم المعبد E' BABBAR هو المعبد الأبيض ويكاد أن ينطبق هذا الاسم مع واقع الحال إذ كانت زينته المعبد الأساســية طــلاء جميع مرافقه بملاط كلسي أبيض اللون ويشمل ذلك واجهات جدرانــه الخارجيــة وجدران وأرضيات غرفة وقاعاته وساحاته وعلى الأغلب فأن سقوفه كانت هــي الأخرى مطلية باللون الأبيض ، مما يضفي عليه جمالية وضياءً تبهر عين الناظر، هذا فضلاً عن أن الطلاء الأبيض يعطي أحساساً بسعة غرف وقاعات المعبد وأن انعكاسات الضوء الطبيعي أو الاصطناعي عليه مهما كان مقدارُها ضــئيلاً فأنهــا تعين على إنارة كافة مرافقه بشكل مقبول .

ومن مظاهر تزيين المعبد والتي نفذت بشكل خاص على جــدران بعــض الغرف ومنها ٣٦٢ ، ٣٦٣ وغرفة الصومعة ٣٦٩ والغرفتين المجــاورتين لهــا ٣٧١ ، ٣٧٣ ، زخارف هندسية قوامها أشرطة عمودية ملونة باللونين الأبــيض والأسود على التوالي عرض الشريط الأسود يتراوح بين ٧٢-٧٥سم بينما يتراوح عرض الشريط الأبيض بين ٢٥-٣٠سم ترتفع عن أرضية الغرفة بما يقرب مــن ١٦٠سم يعلوها شريط أفقي أبيض بعرض يتراوح بين ٢٥-٣٠سم ، وهناك بقايــا لطلاء أسود اللون يعلو هذا الشريط من المحتمل أنه كان يغطي القسم العلوي مــن الجدار. (أنظر شكل ٤ و ٥)

أن شكل الأسرطة العمودية هذه كما نظن تقرب إلى حد ما من شكل الحلية العمارية المعروفة بالطلعات والدخلات وربما كانت هذه تقليداً ومحاكاة لها نفــذت في الغرف الأكثر قدسية في المعبد.

ومن مظاهر التزيين الأخرى طلاء ممرات المداخل للغرف الثلاثة ٣٦٩ ، ٣٧١ و ٣٧٣ وطلاء وجاهتي مدخل المعبد بطلاء قيري أسود اللون بخلاف جميع مرافق المعبد الأخرى التي طليت باللون الأبيض . وتجدر الإشارة إلى أن تــزيين المعابد العراقية القديمة برسومات أو زخارف متنوعة الأشكال والألــوان كانــت

معروفة ومتداولة منذ العصر الشبيه بالكتابي ومنها معبد انينا والمعبد الكلسي في الوركاء ومعبد تل العقير ومعبدنن خرساك في تل العبيد كما نذكر أيضاً معبد نركال في مدينة ميتوران (تلول السيب وحداد) الذي طليت أقسام من قاعاته وساحاته بزخارف متنوعة كان من ضمنها أشرطة بيضاء وسوداء على التوالي قريبة الشبه من زخرفة معبد شمش[١٩] .

أما في العصر البابلي الحديث فيبدو أن الطراز الهندسي كان هو السائد في زخرفة بعض أقسام المعابد والتي قوامُها أشرطة ملونة بلونين فقط هي الأسود والأبيض مثل معبد شمش في سبار ومعبدي نابوشخاري ومعبد عشتار الأكدي في بابل[٢٠].

ونذكر من مظاهر الزينة الأخرى تأطير أكتاف واسكفات مداخل الغرف بأطار سميك من الجص المقوى بعيدان القصب ، ومنها أيضاً تزيين بعض المداخل بوضع الملاط الطيني الذي يغطيها بطريقة يجعل من شكلها أشبه بأسنان المنشار. ومع أن ما أكتشف منها ليس أكثر من نموذج واحد الا أنه من المحتمل أن تكون هناك نماذج أخرى مشابهة له الا أنها تعرضت للتلف والتساقط وذلك كونها لم تشيد مع أصل الجدار وأنما أضيفت إليه مع الملاط . ومن المعروف أن هذه الحلية العمارية الشبيهة بأسنان المنشار كان قد شاع استخدامها في تزيين الواجهات الخارجية لبعض المباني الدنيوية في العصر البابلي الحديث ويبدو لنا بعد استعراض بعض العناصر العمارية والزخرفية الرئيسية في معبد شمش في سبار ومنها نمط توزيع الغرف المقدسة فيه والتأكيد على استخدام الغرف الطولية الضيقة وفي أختيار زخارفه وألوانه أن ذلك يعود بالدرجة الأساس إلى رغبة الملك نبوخذنصر في إحياء تقاليد عمارية وفنية كانت شائعة في العصور السابقة في منطقة بلاد بابل مثلها كمثل كثير من المظاهر الحضارية والفنية التي أعيدت إليها الحياة مرة أخرى في العصر البابلي الحديث وبشكل خاص في زمن نبوخذنصر ويشمل ذلك حتى في أسلوب الكتابة المتبعة آنذاك وفي

شكل العلامات المسمارية المستخدمة ، وهي التفافه ذكية من لدن هذا الملك ربما تشير إلى اهتمامه ورغبته الصادقة بالألتزام بالتقاليد الموروثة التي عفى عنها الزمان ومحاولة منه لأعاده أحيائها بروح وثوب "عصري" وتوليف المفاهيم الحضارية القديمة بما كان سائداً آنذاك وبما شاع في المدن الآشورية التي عاصرها واستنباط مفاهيم جديدة تتلاءم مع فلسفته ونظرته للحياة في أمبراطوريته الجديدة التي بناها بجهوده العسكرية .

الهوامش :

1 - Harris, R. Ancient Sippar Istanbul 1975 , P. 142ff .

2 - Ibid. , P. 306 .

٣ - الجادر، وليد ، أحداث من تاريخ المدينة سبار ٢ ، بغداد ١٩٨٨ ص٧٥-٩٠.

٤ - الجادر، وليد والأعظمي ، محمد طه . نتائج تنقيبات سبار (أبو حبة) للموسم التاسع بحث مقبول للنشر في مجلة سومر .

٥ - الجادر، وليد وعبد الله ، زهير رجب "النتائج الأولية لتنقيبات جامعة بغداد، كلية الآداب قسم الآثار في موقع سبار (أبو حبة) للمواسم ٧٨-٨٣" سومر مجلد ٣٩ ، ١٩٨٣ ص١٠٢-١٠٣ .

٦ - الجادر، وليد والأعظمي ، محمد طه . تقرير غير منشور عن نتائج تنقيبات بعثه سبار للموسمين العاشر والحادي عشر . محفوظ لدى قسم الآثار - كلية الآداب.

7 - CAD - K - P. 430 .

٨ - الجادر، وليد عبد الله ، زهير رجب "تنقيبات الموسم الثامن في سبار (أبو حبة) " ، سومر مجلد ٤٦ ، ١٩٨٨ ، ص٧٩.

٩ - نفس المصدر ، ص٨١ .

١٠ - سعيد، مؤيد "العمارة من عصر فجر السلالات إلى نهاية العصر البابلي الحديث" ، حضارة العراق الجزء الثالث ، بغداد ١٩٨٥ ، ص١٠٩-١١٠، مورتكارت ، انطوان . الفن في العراق القديم ترجمة عيسى سلمان ، بغداد ١٩٧٥ ص٢٤٩.

١١ - أوتس لاجون ، بابل تاريخ مصور ترجمة سمير عبد الرحيم - بغداد ، ١٩٩٠ ، ص١٢٤-١٢٦ .

12 - Hrouda, D. "Excavations at Isin (Mesopotamia)" Akkadica, vol. 8 , 1978 , PP. 7-9.

١٣ - كولديفاي ، روبرت ، معابد بابل وبورسبا ترجمة نوال خورشيد ، بغداد ١٩٨٥ ص٣،٥،٧ .

١٤ - خليل ، محمد نصير "معبد عشتار الأكدية" سومر مجلد ٣٥ ، ١٩٧٩ ص٧٦.

١٥ - عوديشو، دانيال أسحاق "تنقيبات القسم الجنوبي من شارع الموكب ومعبد نابو شخاري" سومر مجلد ٤١ ، ١٩٨٥ ص٥٠ ، لوح ١٠.

١٦ - الجادر ، وليد والأعظمي ، محمد طه "نتائج تنقيبات سبار (أبو حبة) للموسم التاسع" المصدر السابق الذكر ، وكذلك أنظر تقارير الموسمين العاشر والحادي عشر ، المصدر السابق .

١٧ - كولدبقاي، روبرت ، المصدر السابق الذكر ، لوح ٣ ، ٥ ، ٧ .

١٨ - الجادر، وليد والأعظمي ، محمد طه، زهير رجب . تقارير الموسمين العاشر والحادي عشر ، المصدر السابق الذكر.

١٩ - سليمان، برهان شاكر (تل حداد، حمرين) سومر مجلد ٤٠ ، ١٩٨٤، ص٩٣-٩٤.

٢٠ - عوديشو، دانيال ، المصدر السابق الذكر ص٥٠.

خليل احمد نصير ، المصدر السابق الذكر ص٦٢.

رويتر، أوسكار ، بابل المدينة الداخلية – المركز – ترجمة نوال خورشيد، بغداد ١٩٨٥ ، ص١٢٧-١٢٨.

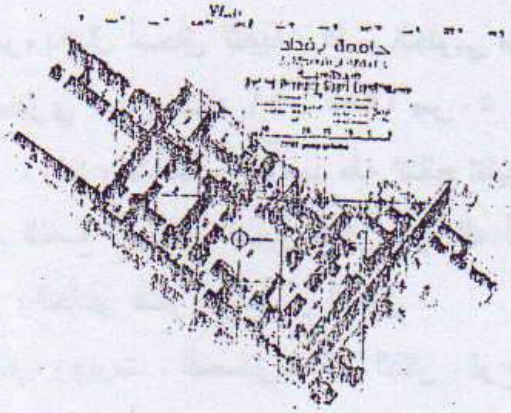

شكل ١

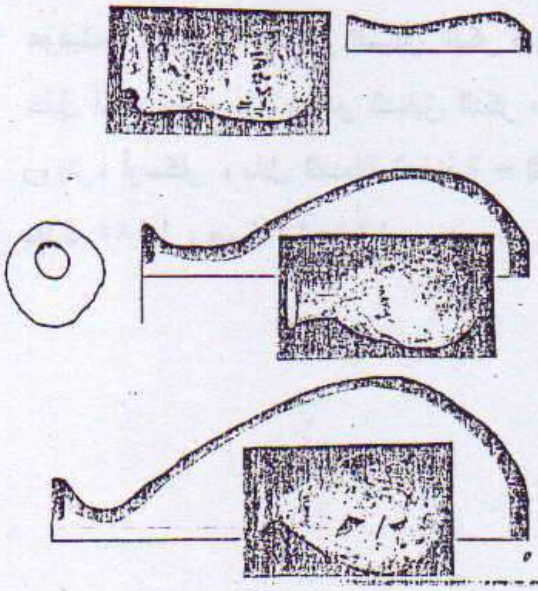

نماذج من الفخار المزجج

نوع ٢

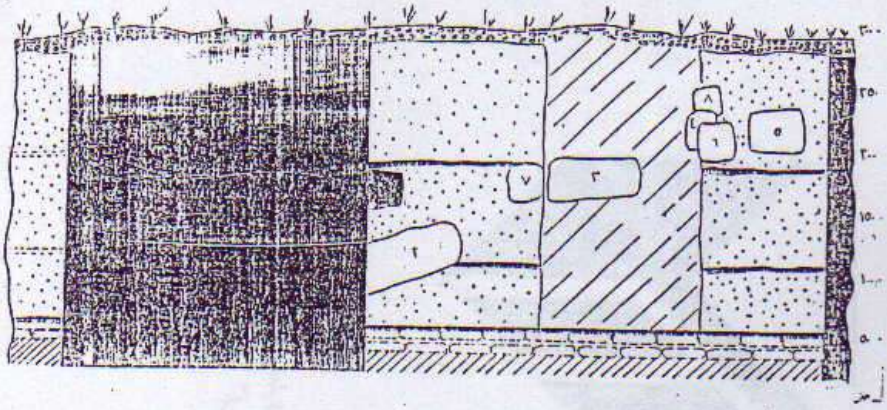

دقوق
سطح الدل
لبلس بالجص
دور سكن

المقطع أ-أ غرفة ٢٦١
البرج ٣ مجردة من الجدران في الأرض ١٩١

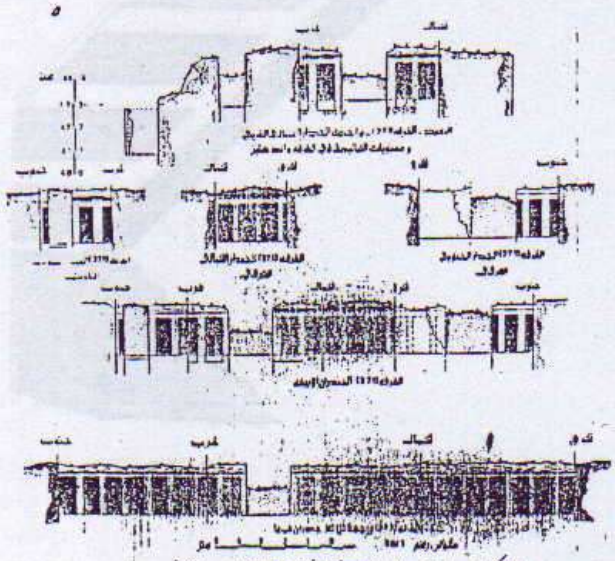

شكل ٦ توزيع الدور في الغرفتين ٢٧١ و ٢٧٢

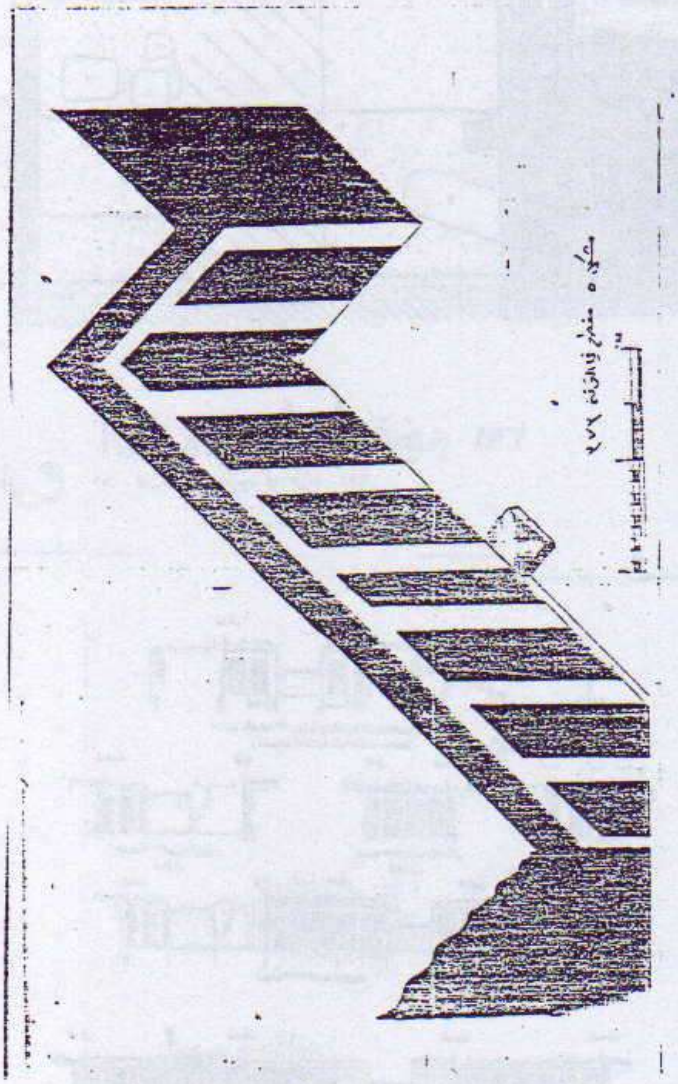

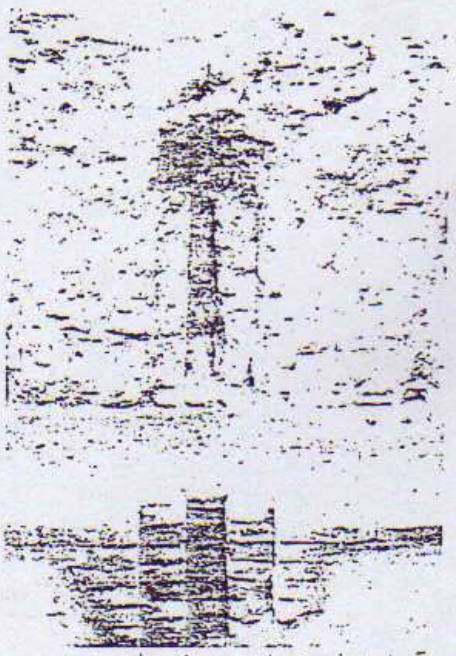

صورة رقم ١ الدخلات المزدوجة في جدار الطين وجدار الطابون

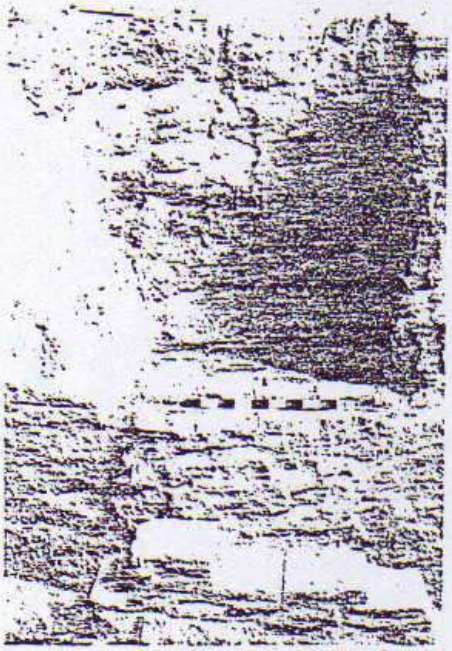

صورة رقم ٢ كوة في الجدار الخارجي للمعبد الضلع الجنوبي الغربي

صورة رقم ٣ الدخلات المزدوجة في الجدار الجنوبي

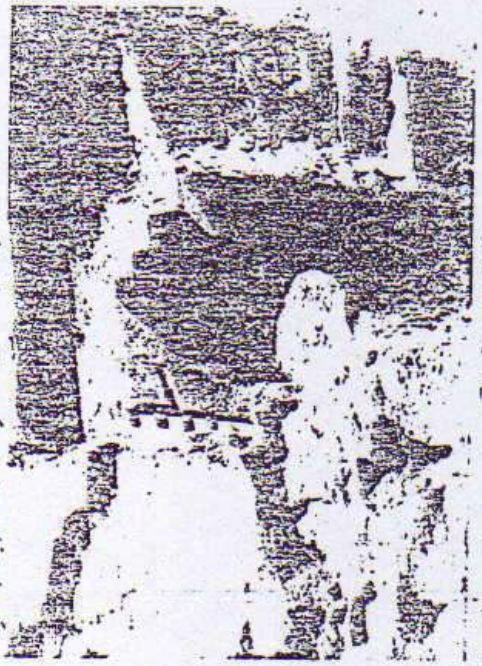

صورة رقم ٤ جدار مزدوج الزوايا